

الميدان في ضيافة أسرة الشهيد بابكر حسن عبد الحفيظ

«عزائي ان الثورة نجحت» آخر كلمات الشهيد

مراسم تشييع الشهيد كانت مظاهرة كبرى

الميدان سفير عبد العزيز
تصوير محمد محمود

تواصل الميدان زيارتها لاسر شهداء أكتوبر الذين قدموا أنفسهم فداء للوطن ، الثورة التي كانت مثلاً رائعاً لتلاحم الشعب بكل هيئاته وجبهاته وتنظيماته وقد كانت جامعة الخرطوم قلعة النضال مسرحاً لاحداث دامية فقدت فيه الاسر اعزاء لديهم مثل أحمد قرشي طه ويا بكر عبد الحفيظ . والده حسن عبد الحفيظ الموظف بالسكة حديد والدته نفسه سيد أحمد سوار الذهب فهو سليل اسرة تعتبر من الاسر الوطنية التي شاركت بالعمل السياسي في الاحزاب المختلفة حتي نال السودان استقلاله وهو الاخ الاصغر لسنتة اشقاء ذكور لا شقيقة لهم . تلقى تعليمه الاولى بمدسة ابو روف الولى ثم الاوسط والثانوي بامدرمان الاهلية ثم كلية القانون جامعة الخرطوم . بمنزل الاسرة بحي الخنادقة ام درمان استقبلنا شقيقه الدكتور الجيولوجي عباس حسن عبد الحفيظ وزوجته ابنة عمه الشهيد بابكر اسماء صديق عبد القادر وقد تحدثوا عن نشاته واهتماماته السياسية ثم استشهاده بعد حياة دراسية قصيرة فلم يكمل عامه الاول بالجامعة .

صاهتمامات سياسية مبكرة:

قال شقيقه الدكتور عباس ان الشهيد بابكر كان أصغرنا ، ولد ونشأ بمدينة امدرمان ما بين ستة اشقاء اتسم بالهدوء والنظام بالإضافة إلى غيرة علي الوطن منذ صباه فقد كان مهتماً بالواقع السياسي العام ولكن لم نعرف عنه إهتمامه لاي حزب سياسي ويؤمن بالديمقراطية وسيادة حكم الشعب ، كان شقيقنا عبد الرحمن ملازماً بالجيش وكان بابكر دائماً في حوار متواصل معه حول عدم شرعية الحكم العسكري وأهمية ان يكون الحكم ديمقراطياً .

– في مداخلة من الاستاذة اسماء صديق زوجة عباس وهي ابنة خال الشهيد بابكر وقد نشأوا معاً تقول اسماء: بابكر كان أماً عزيزاً لنا فنحن كنا ثلاث شقيقات لا أخ لنا فكان بابكر بمثابة الاخ الشقيق كان نشطاً جداً ومحبولاً من الجميع فهو يقضي لنا ولاسرتنا كل احتياجنا ليس منزلنا فاصحب ولكن علي مستوى كل الجيران فهو شقيق لهم وابن الجميع في الحي .

– يواصل د. عباس حديثه عن أحداث أكتوبر قائلاً: لم أحضر ثورة أكتوبر كنت أدرس بالمانيا فقرأنا في الصحف

السودانية التي كانت تصلنا هناك ان جامعة الخرطوم شهدت احداثاً دامية اثر ندوة تمت وتوفي فيها الشهيد القرشي وهناك عدد من المصابين وتوقعت في الحال ان يكون بابكر أحدهم بحكم طبيعته المصاحبة التي اتصف بها ولشجاعته التي كانت تدفعه لأن يكون في مقدمة المظاهرات لذلك حرصت ان اقابل احد زملائنا العائدين من السودان وفي نفس ذلك اليوم وهو عبد الرحيم ضو البيت وفعلاً اكد لي ان بابكر أحد المصابين ولكنه بقي وقام باحضر خطاب بخط يده كتبه وهو علي فراش المستشفى يطمئنني علي حالته قائلاً ان اصابته ليست بليغة وكان ذلك غير صحيح ولو تمت مصارحتي

افراد اسرته الي المستشفى وقد كانت اصابته بليغة في المائة وادخل علي اثرها الي العناية المركزة وقد كان الالاف من المواطنين امام المستشفى لمتابعة احوال المصابين استمرت المظاهرات بعد ذلك لمدة ٥ ايام متتالية وكنا نحن في الاحفاد متضامنين مع الجماهير مما دفعنا للخروج في صبيحة اليوم الثاني في مظاهرة من الاحفاد حتي الخرطوم بارجلنا دون أن نحس بأي تعب. تواصل الاستاذة اسماء حديثها قائلة:

اكتوبر بحق كانت غفوية وخرج شعب السودان كله رافضاً للحكم العسكري منادياً بالثورة حتي إنتصرت وهذه حقيقة ذلك غير صحيح ولو تمت مصارحتي



د. عباس حسن عبد الحفيظ



اسماء صديق عبد القادر

بالحقيقة في ذلك الوقت لكنت حضرت وأخذته للعلاج في المانيا ولكن للاسف هذا لم يحدث وخطابه هذا اشعرتني ببعض الاطمئنان. ■ معني حديثك وتوقعاتك باصابته تقول ان بابكر كانت له ميول سياسية: = اهتماماته بالسياسة ظهرت مبكرة، كان يساهم في كل المنتديات الوطنية ويشترك في الكتابة في الجرائد الحائطية رافضاً للحكم العسكري منادياً بالديمقراطية ومنذ دخوله الجامعة كان يشارك في التحضيرات للندوات التي تقام ولمعرفتي بهذا عنه انتابني القلق عندما علمت باحداث الجامعة. ■ وعن احداث استشهاده تواصل الاستاذة اسماء والتي كانت تدرس بمدسة الاحفاد الثانوية في ذلك الوقت قائلة:

= علمنا ان بابكر من بين المصابين وقد نقل الي مستشفى الخرطوم فانقلنا كل

استمر بابكر بالمستشفى لمدة ١٥ يوماً في العناية المركزة ثم خرج الي المستشفى الجنوبي بعد ان تحسنت حالته قليلاً واكثر من ذلك خرج الي المنزل ومن ثم عاد مرة أخرى الي المستشفى، لم تكن تتوقع استشهاده لذلك كان وقع ورحيله بمثابة صدمة عنيفة لكل افراد اسرته بل لكل السودان.

حضر الدفن كل مجلس وزراء أكتوبر:

وعن يوم استشهاده تقول الاستاذة اسماء ان بابكر توفي الساعة ١١ صباح ٢١ نوفمبر ١٩٦٤م أي بعد شهر بالضبط من اصابته ودفن الساعة ٥ وكانت مراسم التشييع اكبر مظاهرة عمت السودان فقد حضر كل مجلس وزراء أكتوبر وكل النقابات والاتحادات الطلابية وقادة الاحزاب والعمل السياسي السوداني حتي الممرضات بالمستشفى والاطباء حضروا بالزي الرسمي لهم بل ان كل الفئات التي ترتدي زياً موحداً في

لحزب محدد لكنه كان يرفض حكم النظام العسكر بشكل عام فقد كنت في الجيش اثناء عيود وكان يناقش دائماً عدم جدوي حكم العسكر وينادي بالديمقراطية وسيادة حكم الشعب، خاصة بعد دخوله الجامعة كان دائم النقاش في هذه المسائل.لذلك كان سعيداً جداً عند نهاية الحكم العسكري رغم اصابته بالالفة.

■ حدثنا عن اثر سماع نبأ اصابة الشهيد؟ = حينها كنت أعمل في جيبتي وهناك محطة القطار كانت بمثابة مركز معلومات لنا لذلك كنا نذهب كثيراً اليها لمعرفة اخبار الخرطوم وهناك علمنا نبأ حدوث مصادمات بين الشرطة والمتظاهرين في جامعة الخرطوم وأن أحد الطلبة قتل وهو القرشي وأن هناك الكثير من المصابين، مباشرة أحسست بأن بابكر سوف يكون أحد المصابين لذلك سألت حسن ود الحاج وهو كان من ركاب القطار عن بابكر فأجابني بأنه لو حدث ذلك لهو سمع سمع ثم أضاف انا عسكري وأعلم ان الطلقة تقتل من اصيب بها وأن كان بابكر أحدهم لكنك سمعت ذلك كل هذا الحديث لم يطمئنني فطلت طول الليل في قلق حتي صباح اليوم الثاني اتصلت بالجيران وعلمت منهم أن بابكر مصاب وأن كل افراد الاسرة بالمستشفى لذلك استأذنت مباشرة من العمل وعدت الي الخرطوم حتي اكون بجانبه في المستشفى ورغم أن كل الجيران طمانوني بأن اصابته بسيطة الا انني وعند حضوري الي المستشفى وجدت أن الاصابة خطيرة جداً لأن إمعاعها كلها كانت خارج بطنه والمتابعة الطبية لم تكن بالمستوي المطلوب لأنهم وضخوا لنا حقيقة وضعه حيث كان من الممكن ان تتم له معالجات. يواصل العميد معاش عبد الرحمن حديثه قائلاً: المهم حضرت ووجدته بالمستشفى الجنوبي ومكثت معه حوالي «٢٠ يوماً» بعدها تم استدعائي من قبل القيادة لعمليات الجنوب وهناك علمت بوفاته من خلال خطي ارسلا لي عن طريق اليوستة وعلمت انها عدت بطائرة حربية الي الخرطوم لحضور مراسم العزاء.

الحكومات فرطت في الشهداء:

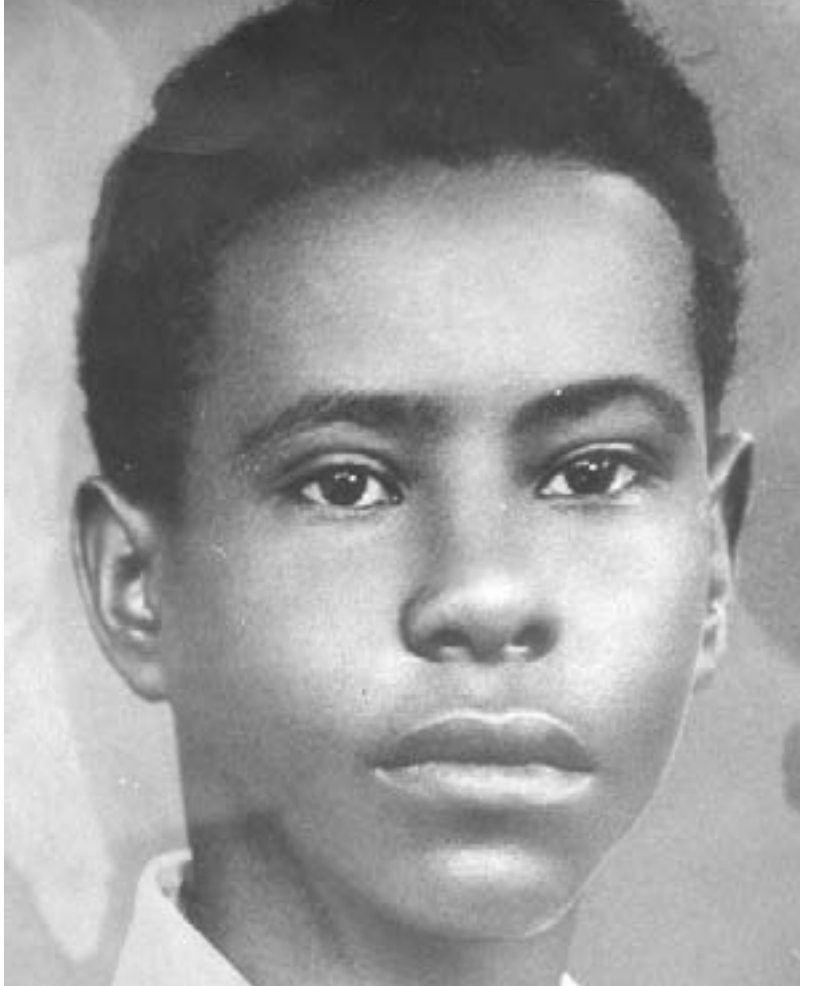
– هل تعتقد ان الشهيد حقق ما نادي به من ديمقراطية بتقديم حياته فداء لها؟ – بابكر قدم حياته للوطن ولكن للأسف الشديد الحكومات فرطت في ما نادي به حتي أننا لم نعد نفرق من هو الشهيد الحقيقي من غيره . = ثم وجه سؤال مهماً جداً قائلاً: اين لجنة كتابة التاريخ والتي تكونت أكثر من مرة من قبل رئاسة الجمهورية ولكن توقف ذلك، و يواصل العميد معاش حديثه قائلاً ان الاجيال الحالية لا تعرف شيئاً من التاريخ من يكتب التاريخ لهؤلاء مطالباً بتكوين لجنة لتكريم ابطال السودان الذين ضحوا من أجل هذا الوطن علي الاقل بكتابة أسمائهم علي الشوارع لتخليد ذكراهم، ونسيان أي شهيد قدم حياته لهذا الوطن يعتبر خيانة وطنية ومن حق هؤلاء الشهداء ان يتم تكريمهم.

يواصل الشهيد قائلاً «سمي ميدان امام كلية التربية باسم بابكر عبد الحفيظ ونزع الاسم بعد ذلك» بعد اكتوبر سمي ميدان أمام كلية التربية باسم بابكر وتم تعليق اللوحة التي تشير الي ذلك ولكن للأسف رفعت هذه اللوحة والغى المشروع، ويضيف العميد «م» عبد الرحمن ان النصب التذكري في كل العالم هو تكريم للجندى المجهول هذه الدولة أعتبرته مقبرة وإزالته بالرغم من أنه يعتبر كرسالة الي كل الاجيال التي تأتي بعد ان يقدم الجندي حياته فداء للوطن، وتشكر جامعة الخرطوم حقيقة لأنها كرمته باطلاق اسمه علي قاعة رئيسية هناك وعلمت أيضاً أنه وبكلمة التربية هناك قاعة باسمه ايضاً ولكن للأسف الطلبة من الاجيال الحالية لا يعلمون من هو بابكر عبد الحفيظ فآتمني ان يكملوا جميلهم باضافة نبذة تعريفية بجانب الاسم علي القاعة عن صاحب الاسم. مع شكرنا الجزيل لصحيفة الميدان



العميد م. عبد الرحمن حسن

بابكر عبد الحفيظ مات نتيجة لاهمال طبي. انتقلت اسرة الميدان بعد ان ودعت الدكتور عبد الحفيظ وزوجته الاستاذة اسماء الي منزل العميد «م» عبد الرحمن حسن عبد الحفيظ شقيق الشهيد بابكر عبد الحفيظ عضو المكتب التنفيذي لاتحاد الادباء والكتاب، مستشار اعلامي لجمعية الضباط المتقاعدين ، عضو اتحاد الصحفيين وكاتب عمود يومي بصحيفة الوطن تحدث عن ذكرياته مع شقيقه الاصغر بابكر عبد الحفيظ قائلاً: كان بابكر نكياً نكاً حاداً ومن طرائفه كنت اعطيهم هو وشقيقي الآخر مسائل معقدة في الرياضيات فكان يلها بسرعة مذهلة مهماً كانت صعوبتها ، وكان بطبعه ثورياً لا أذكر ان له إهتمامات



الشهيد : بابكر حسن عبد الحفيظ

– ما أثر وفاته علي الاسرة : يواصل د. عباس قائلاً: كان وقع الخبر علي الاسرة كبيراً ولم يستطع تقبل ان بابكر توفي فكان يسأل عنه باستمرار وتوفي بعد ذلك بفترة ولم يستعد ذاكرته وكذلك الوالدة بالإضافة الي أن فقده كان للوطن وليس للاسرة بده. ولكن ما يحز في النفس هو أننا لم نكن نتوقع ان « تنكسر» الديمقراطية وأن يتكالب القادة علي السلطة. كنت اتمني ان يكون العائد أكبر من ذلك.

والده فقد الذكر بعد وفاته:

يواصل د. عباس حديثه ان عزاءنا الوحيد ان بابكر توفي وهو مطمئن لأن حياته لم تضع هدراً ففي خطابه الذي ارسله لي وهو علي فراش المستشفى قال فيه ان عزاءم الوحيد أن الثورة نجحت. – وأضافت الاستاذة اسماء ان بابكر سدد لهم بنفسه بعد ان تحسنت صحته قليلاً انه ورغم «فداحة» الضربة الا انه وضع يده علي بطنه التي تنزف بيده ثم زحف وفي يده الاخرى «ملتوف» حتي يصيب من اصابوه وقد «قذفه» فعلاً فقد كان ولأخر لحظة مهتماً بنجاح الثورة حتي وأن كان ذلك علي حساب حياته. اضافت لكن من المؤسف اننا نتعقد انه وبغض النظر عن المكاسب التي نلناها الا أن مجرد نجاح شعبنا في تلك الثورات يظهر صلابه معدنه وشجاعته واقدامه علي حركة التغيير حتي وأن تأخر ذلك لأنه في السياق كانت زيادة في سعر الكبريت تخرج الناس الي الشارع الا أن الزيادة في السلعة الرئيسية والتي هي الرغيف لم يتحرك لها الناس وطلوا ساكنين دون أن يتحركوا رافضين لهذا القرار المصيري.

إلى حل الحزب الشيوعي فيما بعد.

ولم يكن اكتساح الدوائر الإقليمية كافياً ليمح الحزبين الاستقرار المنشود. فقد كان للديمقراطية البرالية منابر أخرى مثل النقابات والصحافة واليالي السياسية، وفوق كل ذلك المقدرة على الإفصاح. واستغل الحزب الشيوعي تلك المنابر. وكان نفوذه كبيراً بين القطاع الحديث من نقابات ووصف واليالي سياسية. ولعل الحزب قد بدأ يلامس السلطة. ولكن إلى أي حد كان الحزب مؤهلاً لحكم البلاد؟ إن نفوذ الحزب الأدبي والسياسي بين القطاع الحديث أكبر من أي حزب آخر. ولكن هذه ليست كافية للتأهيل للسلطة. وكان طرح الحزب يشكل تحدياً للقوى الاجتماعية الحاكمة، وهي تلهت في طريق التطور الرأسمالي الذي فض خاتمته الحكم العسكري، وما هو الحزب الشيوعي يقف ليعترض طريق ذلك الاندفاع. وفي هذا الصدد كتب عبد الخالق محجوب يقول إن الديمقراطية البرالية تقف حجر عثرة في سبيل التطور الرأسمالي في السودان. وتقتصر التنمية الرأسمالية في السودان بالعنف حتى العنف البدني. وكان لا بد أن يقود ذلك إلى تعديل الدستور بأسلوب هجمي وحل الحزب الشيوعي وطرد نوابه من البرلمان وصاومت المؤسسة القضائية، وطغت الديمقراطية البرالية في كيدها. فانتكست ثورة أكتوبر وانفتحت الطريق لانقلاب مايو.

أكبر من البرامج العملية التي تمخضت عنها. فكان ذلك من العوامل التي ساعدت على إعادة توازن القوى.

وطرح الحزب الشيوعي بشكل حاد قضية التغيير الاجتماعي، واستراتيجيته القائمة على الجبهة الوطنية الديمقراطية. وكلاهما أفتق زاهي، ولكن الطريق إليهما يسير عبر منعرجات ويكتنفه ضباب. كما أن شعاراته تهدد مصالح قوى اجتماعية ذات نفوذ، ولا بد أن تنتفض للدفاع عن مصالحها. والقوى التي يجابهها الآن ليست حكماً أجنبياً أو دكتاتورية عسكرية. وهذا عامل آخر ساعد على استعادة توازن القوى. وتقرر إجراء الانتخابات في خريف عام ١٩٦٥، رغم الاعتراضات على القانون وعلى إجرائها في فصل الأمطار. وقرر الحزب الشيوعي المشاركة فيها. وقاطعها حزب الشعب الديمقراطي ملتحفا بعبادة التطرف ليوارى بها سومة مساندته للحكم العسكري. ولم تجر الانتخابات في الجنوب. واكتسح الوطني الاتحادي والأمة الدوائر الإقليمية. ولكن الحزب الشيوعي واجههم بمشكلة. فقد اكتسح دوائر الخريجين حيث حصل هو ومن أيدهم على ١٥ دائرة من ١٥. ولكن التحدي الأكبر كان في دائرة أم درمان الجنوبية، وهي دائرة إسماعيل الأزهري التقليدية. فترشح فيها عبد الخالق منافساً لأزهري. وفاز أزهري بفارق ألف صوت. وعلق باحث من جامعة هارفرد على تلك المنافسة هي التي أدت

إلى حل الحزب الشيوعي فيما بعد. ولم يكن اكتساح الدوائر الإقليمية كافياً ليمح الحزبين الاستقرار المنشود. فقد كان للديمقراطية البرالية منابر أخرى مثل النقابات والصحافة واليالي السياسية، وفوق كل ذلك المقدرة على الإفصاح. واستغل الحزب الشيوعي تلك المنابر. وكان نفوذه كبيراً بين القطاع الحديث من نقابات ووصف واليالي سياسية. ولعل الحزب قد بدأ يلامس السلطة. ولكن إلى أي حد كان الحزب مؤهلاً لحكم البلاد؟ إن نفوذ الحزب الأدبي والسياسي بين القطاع الحديث أكبر من أي حزب آخر. ولكن هذه ليست كافية للتأهيل للسلطة. وكان طرح الحزب يشكل تحدياً للقوى الاجتماعية الحاكمة، وهي تلهت في طريق التطور الرأسمالي الذي فض خاتمته الحكم العسكري، وما هو الحزب الشيوعي يقف ليعترض طريق ذلك الاندفاع. وفي هذا الصدد كتب عبد الخالق محجوب يقول إن الديمقراطية البرالية تقف حجر عثرة في سبيل التطور الرأسمالي في السودان. وتقتصر التنمية الرأسمالية في السودان بالعنف حتى العنف البدني. وكان لا بد أن يقود ذلك إلى تعديل الدستور بأسلوب هجمي وحل الحزب الشيوعي وطرد نوابه من البرلمان وصاومت المؤسسة القضائية، وطغت الديمقراطية البرالية في كيدها. فانتكست ثورة أكتوبر وانفتحت الطريق لانقلاب مايو.

الجدور التاريخية لثورة أكتوبر ١٩٦٤ (الطقة الاخيرة)



د: محمد سعيد القдал

مناطق الإنتاج الحديث والوعي أو مناطق الإنتاج التقليدي، محالفة بذلك ما وضعته لجنة سوكومارسن عام ١٩٥٢. فكان القانون انعكاساً لتوازن القوى في تلك المرحلة من الثورة قبل انكاستها التامة. وكان على الحزب الشيوعي أن يضع في اعتباره أن الحياة السياسية لا تسير فقط باندفاع الثورة ودوره في ذلك الاندفاع. فهناك اعتبارات أخرى ستعمل على إعادة توازن القوى، وأن وضعه في تلك الاعتبارات ما زال ضعيفاً، فنفوذه محصور وسقط قطاعات معينة، وهناك قطاعات من الشعب السوداني لم يصل بعد بنفوذه إليها. ورغم أن نفوذ تلك القطاعات ضعيف في صنع القرار، إى أن أثرها العددي كبير عندما تسير خلف من يصنعون لها القرار. كما أن أثر وزراء الحزب داخل مجلس الوزراء الذي تكون بعد الثورة كان ضعيفاً. فلم تكن هناك برامج في مجال الزراعة التي تولى وزارتها، ولا في مجال الصحة التي تولى أيضا وزارتها. فشعارات الحزب السياسية

كانت الأيام الأولى من ثورة أكتوبر انتصارا كاسحا للقوى اليسار العريض. وقد لخص عبد الخالق ذلك الموقف قائلاً: إن ثورة أكتوبر واجهت الفئات التي تداولت الحكم منذ ١٩٥٤ بالحقائق التالية: ١ – من الممكن أن تنشأ في السودان حركة سياسية مستقلة عن تلك الفئات التي تداولت الحكم مدنيا وعسكريا، والتي ظلت توجه السياسة السودانية منذ نهوض الحركة الوطنية بعد الحرب العالمية الثانية. ٢ – وأن تتكون هذه الحركة من الناحية الشعبية من منظمات نقابية ومهنية وجماعات سياسية لم يكن لها شأن كبير من قبل، وإبرزها الحزب الشيوعي. ٣ – أن تستطيع هذه الحركة نسف حكم قائم بطريقة مفاجئة للفئات ذات المصالح، ومن بينها القادة السياسيون وزعماء الطوائف، وأن تشكل سلطة لا تنتمي لتلك الفئات. ٤ – وهذا هو أخطرهما: أن ينفصل جهاز الدولة عن السلطة الحاكمة وينضج لتلك القوى السياسية في عمل ثوري هو الإضراب السياسي. لقد استطاعت مجموعة من القضاة الثوريين البراليين أن تتذرع بجهاز القضاء، وتفصله عن السلطة الحاكمة، وتبعتها بقية أجهزة الدولة. ولم تعد السلطة في القصر الجمهوري ومجلس الوزراء، بل أصبحت في نادي أساتذة جامعة الخرطوم. ومن ذلك المفز أثرت الحركة الشعبية على بقية أجهزة الدولة الأخرى، خاصة القوات المسلحة على